للقادم من بغداد وهو ينحدر جنوبا على الطريق باتجاه مركز مدينة البصرة، عندما يخترق مسير المركبات القادمة ضواحي المدينة الشمالية مثل ناحية الهارثة والقرى العديدة التابعة لها، ويقطع ايضا جسر نهر (كرمة علي) تتبدى له ملامح مركز المدينة.. مثلا مباني جامعة البصرة.موقع (كرمة علي) الى اليسار، والسوق الشعبي المكتظ دائما على اليمين، ثم بوابة الدخول الى المدينة، وكذلك تتراءى عن بعد مباني مطار البصرة الدولي من جهة اليمين ايضا..
يتفرع من ذلك الطريق الرئيسي قبل الدخول من بوابة المدينة بأكثر من مائة متر طريق فرعي قديم مكسو بالاسفلت بمحاذاة السياج الشرقي لمساحة الأرض الواسعة التابعة للمطار يسمى طريق (أبو صخير..) حيث يؤدي الى قرية بنفس الاسم اشتهرت قبل سنين عديدة باسم معسكر شهير فيها سيئ الذكر والصيت (الجيش الشعبي) السابق وهو بالاسم ذاته..!! أي (معسكر ابوصخير)

اهوار بلا أسماك..!

الحياة المنسية في قرى هور " المسحب "

الماء عفن لا تشربه حتى الحيوانات والمرضى يموتون ولا يعرفون السبب!

البصرة/ قاسم علوان

بداية هذا الطريق مزدحمة اغلب الاوقات بالناس المتبضعين وانواع المركبات التي تنقلهم من والى قراهم القريبة أو المترامية بمحاذاة هذا الطريق، وكذلك باعة الخضار والفواكه والبضائع الأخرى، سابقا كانت تباع هنا ايضا الاسماك النهرية الطازجة وبعض انواع الطيور المهاجرة حية أو مذبوحة في بداية فصل الشتاء ولغاية الربيع التي كانت ترتاد الأهوار القريبة والتي شحت أو انتهت هذه الظاهرة تماما في السنوات الأخيرة.. يأخذنا هذا الطريق ايضا الى الحي السكني لموظفي المطار وهو عبارة عن دور سكنية جاهزة (جملونات) وتتوفر في هذا الحي تقريبا جميع أنواع الخدمات الضرورية المتاحة لسكان المدينة، لذلك (تطفلت) عليه مجموعة من البيوت (الجديدة) التي بنيت مؤخرا بشكل عشوائي أي (حواسم..) ويبعد هذا الحي عن بداية الطريق تقريبا ٥كلم، ثم بعده بمسافة مماثلة نصل الى مشروع (حقن الماء) التابع الى شركة نفط الجنوب حيث يحقن الماء عن طريق قناة صناعية قادمة من نهر (كرمة علي) في جوف الأرض الى آبار النفط في الرميلة الشمالية منها والجنوبية لغرض رفع النفط الخام فيها الى مستوى أعلى.. وتحاذي هذا المشروع قرية (أبي صخير) وتتمتع هذه القرية ايضا بمستوى القصب ايضا، وكذلك بعض بيوت الطين، واطفال حفاة من الجنسين ينتشرون هنا وهناك يتطلعون إلينا بفضول، ونساء وفتيات ينقلن الماء في علب من الصفيح الى اكواخهن القريبة.. ومنهن من افترشن الارض على حافة الماء ليغسلن الملابس.. يغطين وجوههن عندما يشاهدن عدساتنا موجهة نحوهن بأغطية رؤوسهن المغبرة، لم نتوقف في نقطة معينة بانتظار اتساع رقعة هذا المسطح المائي وكثافة النباتات المائية عليه حيث سيكون هوراً بمعنى الكلمة فعلا ويستحق الزيارة.. كما ان دليلنا لم يصل الى هذه المسافة من قبل وبالتالي يجهل النقطة التي نحن فيها أو التي نبحث عنها، فقط يعرف ان هذا الطريق يؤدي الى هور المسحب.. توقفنا لنسأل احد السائقين الذي اقترب من مركبتنا وظهر انه من معارف دليلنا وبعد تبادل التحية.. سألناه عن اسم القرية التي نحن بمحاذاتها..؟
فأجاب:. اسمها (امنيصفة..)
.هل يوجد فيها من يستطيع تأجير زورق ليأخذنا في جولة في الهور..؟
.نعم ستجدون من يقلكم بسهولة..
لم نشاهد بعد ان تجاوزنا مشروع (حقن الماء) أي شكل من أشكال وجود الحكومة أو السلطة المحلية أو المركزية.. لامركز شرطة ولاسيطرة أو نقطة تفتيش ولامدرسة ولامستوصف ولابلدية.. سألت احد الفتيان الذي كان يحدق بعدسة الكاميرا:.
.هل زارتكم لجان إحياء الأهوار..؟
– لم يزرنا احد.. فقط نسمع بإحياء الأهوار وإعادة اعمارها..
.هل سمعتم بان هناك ٥٠ مليون دولار تصرف سنويا مخصصة لمشاريع انعاش الأهوار..؟
.نعم سمعنا ولكننا لم نشاهد شيئا على أرض قريتنا ..
.كيف تسدون حاجتكم من الماء الصالح للشرب..؟
.نشتري العشرين لتراً من الماء بألفين وخمسمائة دينار...!!
.وهذا الماء الذي وصل حديثا الى هذه الأرض...؟ (إشارة الى ماء الهور..)
.انه مالح وعفن.. حتى الحيوان لايستطيع شربه، أحيانا اصحاب الجواميس يشترون ماء شرب لحيواناتهم..
– هل تشاهدون التلفزيون وفضائياته المتنوعة عندما يتحدث المسؤولون عن الأهوار..؟
أجاب سيد حكيم:. نقول لك ليس لدينا كهرباء وتسأل عن التلفزيون...!!
.هل يعمل احدكم بعالم مدينتنا الذي نعيشه رغم فقره احيانا وتذمرنا منه لعدم توفر بعض الخدمات الضرورية.. سوى ثلاث وسائل فقط وهذا ما شاهدناه ولمسناه بانفسنا، الأولى: المحرك الآلي الذي يعمل بالبانزين والموجود في اغلب الزوارق التي ترتصف بجوار القرية.. والثانية: هي توفر بعض انواع سيارات النقل الصغيرة والمتوسطة لدى بعضهم.. وهي قليلة جدا بالنسبة لسكان هذه القرية ومالكوها هم من يملكون عددا لابأس به من رؤوس الجاموس....!! والثالثة الهاتف النقال.. سألت احدهم عندما رن هاتفه:. قلت انك لاتعرف القراءة.. كيف تستعمل الهاتف النقال..؟ اجابني:. اضع أية إشارة أو رمز امام الرقم.. فبواسطتها اعرف من يكلمني او اختار من اكلمه..!! وبهذه الوسائل الثلاث فقط.. لا تربطهم أية علاقة أخرى بالحياة الحديثة التي تتوفر عليها المدينة أي مدينتنا.. فقد شبه بعض من فريقنا الزائر المسافة التي تفصل قرية امنيصفة عن مدينة البصرة.. بالمسافة التي تفصل البصرة نفسها عن نيويورك...!!
قلنا لهم:.نحن بحاجة لزورق يقلنا في جولة في نواحي هذا الهور..؟ (بمقابل مالي طبعا..) فتطوع احدهم وقال اصعدوا الى هذا الزورق.. وذلك بعد ان وفر كمية الوقود المطلوبة.. صعدنا وطلبنا سيد حكيم ليكون برفقتنا لنكمل حديثنا.. انطلق بنا الزورق غربا مبتعدا عن القرية باتجاه اعمدة دخان عالية وتبدو بعيدة جدا.. سالت عنها.. أجاب احدهم:. بانها الغاز المحترق المنبعث من حقول النفط في الرميلة..!!
– هل يعمل احد منكم في شركة نفط الجنوب.. حرّاس مثلا..؟
أجاب السيد:.هذا العمل يحتاج الى وساطة كبيرة جدا ونحن لانملكها.. كما ان بعض الاعمال التي عرضت علينا في النفط كانت مقابل رشوة لانستطيع دفعها..!!
قلت:.بالنسبة الى موضوع الطبيب.. من يمرض منكم الى أين يذهب...؟
قال سيد حكيم :.احدنا يعيش ويموت ولم يزر طبيبا أبدا.. أولا لان احدنا لايملك أجور مراجعة الطبيب في عيادته في المدينة، وثانيا أقرب مركز صحي هو في الحي السكني لموظفي المطار، وهذا المركز في اغلب الاحوال ليس فيه أي دواء.. فمريضنا يموت بدون ان يعرف مرضه...!!
بعد رحلة استمرت أكثر من نصف ساعة في الزورق السريع.. وصلنا الى سدة ترابية تفصل الهور عن أرض يباب يبدو انها جففت منذ فترة طويلة، وكنا نشاهد عن بعد منشآت حقول النفط ومقترباتها في الرميلة الجنوبية.. فقد قال لنا فيما بعد رئيس لجنة إنعاش الأهوار د. حامد الظالمي في مجلس المحافظة السابق في اللقاء الذي أجريناه معه في نهاية هذا التحقيق.. بأن شركة نفط الجنوب كان لها دور كبير في تجفيف الأهوار سابقا ولاحقا.. كما انها لم تساهم مطلقا في حملة إعادة الحياة الى أهوار البصرة...
في طريق عودتنا كنا نصادف بعض الزوارق المماثلة لزورقنا وهي محملة بالقصب الأخضر المقطوف توا عائدة باتجاه القرية، احيانا يكون على ظهر الزورق نساء فقط، واحيانا رجل وامرأة، وثالثة رجلان، وفي بعض المرات كنا نرى اطفالا صغاراً مصاحبين للطاقم.. كنا نتساءل عن ذلك امام مضيفينا.. فكان جوابهم كالتالي.. هؤلاء النسوة ليس لديهن معيلون، أو قد يكون هناك اب كهل قعيد الفراش، اما بالنسبة للرجال فهذا هو عملهم الاعتيادي، كما ان هناك من يصطحب شقيقته أو زوجته معه لمساعدته في العمل،وبالنسبة الى الأطفال عندما لايكون هناك في القرية من يهتم بهم..
قلت:.هل كل أولئك من اصحاب قطعان الجاموس...؟
فاجاب سيد حكيم:.كلا.. هؤلاء يبيعون حمل هذا الزورق على (الجرف) بسعر يتراوح من عشرة آلاف دينار الى خمسة عشر ألف دينار بحسب كميته، تذهب منها خمسة آلاف دينار سعر خمسة لترات بنزين وقوداً للمحرك... والباقي ليتقوتوا به يومهم، هذه هي عيشتنا.. ومن لايستطيع ان يؤدي هذا العمل فهو يموت من الجوع...
.وهذا الهور ألم يمن عليكم بخيراته كما هو معروف سابقا..؟
.هذا الماء حديث العهد على هذه الأرض فليست فيه أية اسماك تستحق الصيد.. نعم هناك بعض الاسماك الصغيرة.. وبشكل خاص الروبيان.. فهو متوفر بكميات كبيرة.. ولكن سعره رخيص جدا.. بحيث احيانا لايساوي متاعب صيده وتسويقه.. وهو نوع من الروبيان النهري صغير الحجم..
سالت نعيم وهو من يقود زورقنا:.هل انت متزوج..؟
اجاب:.كلا.. لا املك نفقات الزواج.. لو كنت املكها لتزوجت منذ زمن..
في طريق عودتنا مررنا بهيكل دبابة عراقية محطمة يظهر جزؤها الأعلى فوق الماء.. قالوا لنا هذه من مخلفات حرب ١٩٩١ دمرتها الطائرات الأمريكية في هذا المكان بعد التجفيف..

لجنة إنعاش الأهوار..

إلتقينا بالدكتور حامد الظالمي عضو مجلس المحافظة السابق، ورئيس لجنة انعاش الأهوار في المجلس آنذاك في بيته.. سألناه في البداية عن اهمية الأهوار.
اجابنا:. ان للأهوار اهمية كبيرة ، فهي مسطحات مائية عمرها آلاف السنين، وهي أيضاً بيئة مناسبة للحياة المائية وكذلك للطيور المهاجرة التي كان يعيش عليها الفلاح العراقي.. كما انها وسيلة ضغط على المياه الجوفية في البوادي المحاذية لها، فبواسطة هذا الضغط تقترب تلك المياه من السطح، وكذلك وسيلة ضغط على النفط في الحقول المجاورة.. ليس في العراق فقط بل حتى دول الجوار.. كما انها تساعد على تلطيف الجو في الصيف الساخن لدينا بسبب بخار الماء المنبعث منها، كما ان مساحة الأهوار العراقية تساوي تقريبا مساحة لبنان..
.ماهي المشاريع التي تم تنفيذها من قبل اللجنة التي قمتم بترؤسها في الاعوام السابقة..؟
.كانت هناك ميزانية مقدارها خمسون مليون دولار لعام ٢٠٠٦ ومثلها للعام ٢٠٠٧ وكذلك لعام ٢٠٠٨... فقط الميزانية الأخيرة جرى تحويل تنفيذها الى الوزارات المختصة بدلا من مجالس المحافظات بناءا على توجيه ديوان رئاسة الوزراء، المشاريع التي تم تنفيذها عن طريق محافظة البصرة عام ٢٠٠٦ هي اكثر من ثمانين مشروعا في مناطق متعددة من الأهوار.
.على أي اساس يتم اختيار المناطق ليتم إعادة انعاشها..؟
.هناك مركز في وزارة الموارد المائية اسمه مركز إنعاش الأهوار هو الذي يحدد أن تلك المناطق هي مناطق اهوار وتحتاج الى إعادة إنعاش أم لا.. إذن هناك تقرير رسمي مرفوع لمجلس الوزراء يحدد من هي مناطق الأهوار..
.المنطقة التي تقع بعد مشروع حقن الماء في أبي صخير هل هي منطقة أهوار..؟
.نعم سبق وان حددت هذه المنطقة على انها منطقة أهوار.. ويجري الآن تنفيذ مشروع للماء في منطقة الخورة، كما نفذ في العام ٢٠٠٦ فيها طريق بطول ١٤ كلم، كل المناطق التي تم المصادقة عليها على انها مناطق اهوار يجري تنفيذ المشاريع المذكورة فيها، كما ان التقرير الذي رفعته وزارة شؤون الأهوار عن المشاريع التي تم تنفيذها في البصرة كان تقييمه لعملنا جيداً جدا، وكانت نسبة تنفيذنا لتلك المشاريع هي ٩٨ بالمائة.. وفعلا عرض علينا د. حامد التقرير المذكور وكان إيجابيا جدا بحق عمل لجنة إنعاش الأهوار في البصرة والمشاريع التي تم تنفيذها..
سألنا مضيفنا:.لو تسمح دكتور.. زرنا منطقة هور المسحب ولم نشاهد أي اثر للأعمار أو لإنعاش الأهوار.. لم نجد مدرسة أو محطة تحلية مياه، أو أي مركز صحي..؟
د.حامد:. ان المشاريع التي ننفذها تمتد الى أكثر من ١٥٠ قرية، لكن التنفيذ يجب ان يتقيد بالكثافة السكانية في القرية المعنية.. فمن غير المعقول ان تنفذ مشروعاً بكلفة مليار أو ملياري دينار في قرية عدد السكان فيها أقل من منطقة أخرى، نعم هناك أولويات للقرى المشمولة بحسب عدد السكان العائدين أو المجاورين لها.. مثلا كل المبلغ الذي وصل الينا هو ٥٠ مليون دولار في السنة.. فكيف تستطيع بهذا المبلغ ان تمد طريقاً وتبني مدرسة ومركزاصحيافي اكثر من مئة قرية..؟ فكل قرية تحتاج الى طريق وشبكة مياه وشبكة كهرباء ومدرسة ومستوصف.. ولو نفذنا هذه المشاريع الخمسة في كل قرية لكان لدينا أكثر من خمسمائة مشروع، وبالتالي فأن المبلغ المخصص لايسد كلفة هذه المشاريع..
.كم تكلف هذه المشاريع الخمسة في كل قرية..؟
.محطة المياه تكلف من مليار الى ملياري دينار، شبكة الكهرباء نصف مليار دينار، بناء المدرسة يكلف من ٤٠٠ الى ٥٠٠ مليون دينار، وبالتالي تبلغ كلفة هذه المشاريع الخمسة في كل قرية تقريبا خمسة مليارات دينار عراقي، يقل هذا المبلغ أو يرتفع بحسب طول الطريق.. نعم الكثير من مناطق الأهوار تحتاج الى الكثير من الخدمات، نعتقد ان الكلفة الحقيقية لإعادة الحياة الى جميع مناطق الأهوار مليار دولار، اما نحن فقد وصل إلينا فقط خمسون مليون دولار لكل عام من الأعوام الثلاثة الماضية..

اطفال حفاة من الجنسين ينتشرون هنا وهناك يتطلعون إلينا بفضول، ونساء وفتيات ينقلن الماء في علب من الصفيح الى اكواخهن القريبة.. ومنهن من افترشن الارض على حافة الماء ليغسلن الملابس.. يغطين وجوههن عندما يشاهدن عدساتنا موجهة نحوهن بأغطية رؤوسهن المغبرة
١١

دبابة عراقية مدمرة منذ زمن الحروب!

الدليل: احدنا يعيش ويموت ولم يزر طبيبا أبدا.. لان احدنا لايملك أجور مراجعة الطبيب، وأقرب مركز صحي هو في الحي السكني لموظفي المطار، وهذا المركز في اغلب الاحوال ليس فيه أي دواء.. فمريضنا يموت بدون ان يعرف مرضه!
١١

جانب من الحياة اليومية للقرية..